

"رجال في الشمس"

القِيمَان على المعرض: طال بن تسفي، حنا فرح كفربرعم

متحف هرتسليا للفنّ المعاصر

13.6.2009-13.9.2009

المعرض: رجال في الشمس

الفنانون المشاركون: عبد عابدي، أسامة سعيد، أسد عزّي، إبراهيم نوباني، عاصم أبو شقرة، ميخائيل حلاق، ضرار بكري، راني زهراوي، رأفت حطّاب، فهد حليبي، علاء فرحات، إسكندر قبطي، ربيع بخاري.

معرض رجال في الشمس يتعامل مع فنّ فلسطينيّ معاصر لفنّانين يعيشون ويعملون في إسرائيل. يستعير المعرض عنوانه من رواية بهذا الاسم للكاتب غسان كنفاني. الرواية، التي صدرت في العام 1963¹، تسرد تفاصيل مسيرة يقوم بها ثلاثة فلسطينيين من أجيال مختلفة، يسعون للعثور على عمل في دول الخليج وتخليص أنفسهم وعائلاتهم من ظروف حياتهم القاسية. وبكونهم لا يحملون تصاريح المرور المطلوبة، يضطرّ ثلاثتهم إلى الاختباء قبل وصولهم إلى المحطة الحدودية ما بين العراق والكويت، داخل خزّان ماء فارغ تقوده الشاحنة التي تنقلهم. هنا، يقوم حراس الحدود في المحطة بتأخير الشاحنة من خلال محادثة عبثية، والفلسطينيون الثلاثة يموتون في قيظ الصحراء اللاهب، عند أطراف مدينة غير محدّدة. وتنتهي القصة بصرخة سائق الشاحنة: "لماذا لم تفرعوا جدران الخزّان؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟".

تجسد قصّة اللاجئين الثلاثة مدى تعرّض حياة الفلسطينيين للأذى ومدى هشاشتها. كنفاني يؤكّد البعد المؤقت السيء في وجودهم، حيث أنّه يتمّ فيه، أيضًا، نتيجة لفقدان الزمن أو نتيجة للزمن المعرقل والمؤجّل، يُحكم عليهم بالموت ميتة شديدة القسوة.

في مقالته التي يضمّها هذا الكتلوغ، يشير أمل جمال² إلى أنّ قصة كنفاني تعكس وعيًا مؤقتًا عميقًا يرفض التسليم بالواقع الذي نشأ بعد نكبة العام 1948. هذه الوضعية المؤقتة، أي استيعاب فكرة الزمن لدى الفلسطينيين، تقوم على إخراجهم من التاريخ، على إفراغ الزمن وعلى تأجيله. "كما أنّ الفلسطينيين الذين يعيشون في وطنهم"، يكتب جمال، "يعيشون، أيضًا، مشاعر النفي عن المكان والزمان بشكل يومي والغربة في وطنهم. واحدة هي التجربة العينية التي عاشها الفلسطينيون إثر النكبة، تجربة الزمن المُرجأ هي تجربة مشتركة للجميع، الحياة على هامش الانتظار دون أن يكون لديهم سيطرة عليها، والوجود في وضع خالٍ من استقرار طبيعي. جميع المجتمعات الفلسطينية أينما كانت، وبصرف النظر عن جودة حياتها، تواجه أزمة وتحديّ الزمن المُفرغ أو المُرجأ وتعيش حالة انتظار." هذه الوضعية المؤقتة، كما يدّعي، تتعكس في أعمال كتّاب وفنّانين فلسطينيين يتناولون تجربة فقدان، التغريب، الاغتراب وتحديات الوضعية المؤقتة في جميع أماكن وجودهم.

يتمحور معرض رجال في الشمس حول محورين من المعنى، واللذين يعودان ويتكرران في الأعمال. المحور الأول، "في ظلّ الصمت"، يواصل الصمت المأساوي والمهلك لدى اللاجئين الثلاثة في خزّان الماء، في قلب صحراء قاطئة. الصمت في هذا السياق هو تعبير شديد الموثوقية للتوتر اليومي والمستحيل الذي يرافق ظروف الحياة والعمل لدى فنّانين فلسطينيين. أمّا الوجه الآخر لعملة الصمت، فهو منظومة استعارية رمزيّة مشقّرة، تتعد عن الواقعية الفنية. وعلى الرغم من أنّ هذه المنظومة الاستعارية تردّ، بشكل جزئي، على الأحداث التاريخية العينية، فهي مخفية بمعظمها ولا تظهر في التأويلات الظاهرة وفي الخطاب حول الأعمال.

المحور الثاني، "الوضعية المؤقتة كحيز وعي فلسطيني"، يوضع في مركزه تفكيرًا ذا طابع مؤقت بالحيز. فالعلاقة المتجسّدة بـ زمن-حيز حاضرة في الأعمال، سواء في صور الخواء أو غياب الناس من محيط سكناهم، أو في صور الحيز الشائك والمتاهة. إنّ الوعي للمؤقت المتواصل أو الانتظار الواعي الطويل الذي يصبو إلى إحداث تغيير، حاضر في أعمال هؤلاء الفنّانين منذ البداية، لكنه يتبدّل تدريجيًا بوعي جديد للمؤقت بوصفه حالة طبيعيّة أخذة في السيطرة على كينونتهم.

محورا المعرض "ظلّ السكوت" و "المؤقت كحيز وعي فلسطيني"، يعرضان في تنويع من التصالبات منظومة مركّبة من الروابط، الإستراتيجيات البصرية والسردية والتأويلات باللغتين العربية والعبرية. هذه المنظومة تعكس حيز الوجود الجدليّ للفنّانين في التوتر القائم ما بين "من الداخل" و "من الخارج"، بين "الانتماء" و "الأخروية"، بين حقول ثقافية قومية وبين حدود مُميّزة.

المعرض يعجّ بهذا التوتر الجدليّ. وهو يحاول فكّ الدرز الظاهرة والخفية التي تربط السكوت وإمكانية الكلام، المؤقت والطبيعية، الشعور بالملاحية الجماعية وموقف الفرد الذي يريد لنفسه مكانًا ليدع ويعرض فيه، لكنه يسعى، أيضًا، إلى تغيير تاريخ التمثيل

المشحون والمواقف النابعة منه وتحديد أفق للتغيير في ما يخصّها.
1 غسان كنفاني، رجال في الشمس، منشورات صلاح الدين، القدس، 1976.
2 يُنظر أدناه: أمل جمال، "الصراع على الزمن وقوة المؤقت": اليهود والفلسطينيون في متاهة التاريخ", 2009

طال بن تسفي

<http://www.hagar-gallery.com>

tal.bz@bezalel.ac.il

حنا فرح كفربرعم

hannafarah33@gmail.com